من حيل الشياطين "١"

تحدثنا في المقال السابق عن ثلاث حيل من حيل الشياطين ونتابع اليوم حديثنا عن حيلهم فنذكر منها أيضا:

التخدير

حينما يكون الانسان في وعيه الروحي متنبها وواضعا امامه المثل والقيم والمباديء السامية التي ينبغي عليه ان يسلك فيها حينئذ يكون من الصعب ان يسقط ولذلك قال واحد من الآباء الروحيين: ان الخطية يسبقها اما الشهوة أو الغفلة أو النسيان..

وحالة الغفلة أو النسيان هي نوع من التخدير قد يلجأ إليه الشيطان فينساق الإنسان الي الخطية كأنه ليس في وعيه!.

ولذلك في بداية الندم والتوبة يقال: "ولما رجع هذا الشخص الي نفسه حزن أو ندم علي كل مافعل" وعبارة "رجع الي نفسه" تعني انه لم يكن وقتذاك في وعيه او علي الاقل لم يكن في كامل وعيه طوال فترة السقوط ولهذا لما رجع الي نفسه اخذ يفكر بأسلوب آخر يختلف من اسلوبه اثناء سلوكه في الخطيئة..

* * *

الشيطان يخدر الانسان بحيث ينسي كل شيء ماعدا الخطية

فالزاني والمرتشي والسارق والقاتل وما اشبه.. تكون كل حواسه وأفكاره ومشاعره مركزة في خطيته وحدها في شهوة الجسد او شهوة المال او شهوة العظمة. أو مشاعر القسوة أو الحقد.. أما كل ما عدا ذلك فلا يحس به علي الاطلاق وكأنه قد نسيه تماما تماما.. ينسي شرفه وكرامته وينسي كل وصايا الله وكل المباديء والقيم وينسي وضعه في المجتمع وينسي امكانية ضبطه وينسي حكم القانون وحكم المجتمع عليه وينسي مستقبله وسمعته وينسي عبادته واحتراسه ينسي كل شيء ويكون كأنه مخدر تماما خدره الشيطان بالشهوة ولذتها واغراءاتها بحيث اصبح لايعي شيئا غير ذلك!!.

* * *

ولايفيق إلا بعد السقوط او بعد مرات من السقوط..

بعدأن يكون كل شيء قد انتهي وقد ضيع نفسه!.

وقد لايفيق اطلاقا ويستمر سادرا في غية الي ان يوقظه غيره بان يضبط ويقع في يد القانون او ينكشف بطريقة ما ويفقد سمعته وكرامته او يفقد صحته ايضا وارادته كما يحدث للمدمنين! هناك من يفيق ويتوب.. وآخر يفيق بعد فوات الفرصة! وهناك من لا يود ان يفيق هو سعيد بحالة الغفوة أو التخدير التي هو فيها كنائم في حلم جميل لايود ان يستيقظ منه.

قد خدر الشيطان ضميره وسلب ارادته وألقاه في دوامة يدور فيها ولا يعرف كيف يخرج منها.. وقد لايدرك ماهو فيه!.

* * *

هنا وأود ان اقدم لكم صورة لهذا الخاطيء في غفلته:

تصوروا كرة تتدحرج من فوق جبل عال:

كرة القيت من فوق الجبل فظلت تتدحرج تباعا في اندفاع مستمر من فوق الي اسفل.. وهي لاتملك ذاتها لتقف وتقول اين أنا؟ انما هي تتدحرج وتتدحرج بلا فكر بلا وعي بلا حس بلا ارادة.. قوة الدفع تجذبها باستمرار الي اسفل خطوة تسلمها الي خطوة ودحرجة تسلمها الي دحرجة بلا هوادة وهي لاتعرف الي اين يقودها كل هذا؟ ولا تشاء ان تقف أو لاتستطيع أن تقف ولكن الي متي؟.

* * *

الي ان تصل الي القاع او الهاوية او تتحطم في الطريق او قد يصدمها حجر كبير في انحدارها يعترض طريقها ويوقفها ويقول لها: الي اين انت ذاهبة؟ الي متي تتدحرجين؟ افيقي الي نفسك استيقظي هذا الانحدار المتتابع يقودك الي الضياع.

فتقف وتنظر فتجد انها هبطت كثيرا عن مستواها السابق هكذا الخاطيء الذي خدره الشيطان واغراه والقاه الي اسفل يحتاج ان يفيق وان يستيقظ وقد يوقظه احد محبيه او احد الدعاة الي الخير او توقظه نعمة الله التي تقود الي التوبة وليحذر مثل هذا الانسان من ان يستمر مخدرا بالخطية الي ان تصبح عادة يعسر عليه اقتلاعها من نفسه.

ويجب ان يفيق بتوبة حقيقية ويحذر من ان يحوله الشيطان الي اليأس!.

* * *

من حيل الشيطان أيضا

المفهوم الخاطيء للحرية

الشيطان يشن علي العالم الآن حربا فكرية ويريد ان يهز المباديء

ويهدم القيم والتقاليد وما تسلمه الناس عبر الاجيال.

ويريد ان يدخل في صراع مسميات ويقدم مفاهيم جديدة وتيارا عاما مخطئا. كل من لايسلك بمفاهيمه يهاجمه المجتمع ويتهكم عليه حتي اصبحت كثير من المسلمات موضع جدل ونقاش مع اتهام كل من يتمسك بالتقاليد بأنه رجعي أو متخلف أو "دقة قديمة" غير متحضر كما لو كان كل القديم سبه ينبغي التخلص منها وهكذا يشكك الناس فيها كلها!.

* * *

أعطي الشيطان في جيلنا مفهوما منحرفا للحرية..!

بهذا المفهوم يقنع الانسان بانه حر يفعل ما يشاء ويعتنق مايشاء من الافكار والعقائد وينشرها بلا اي ضابط علي الاطلاق مهما كانت تلك الآراء او المعتقدات او التصرفات خاطئة ومهما كانت خطرة علي المجتمع!!.

والمعروف أن الحرية المطلقة لا يوافق عليها أحد. بل الذي يوافق عليه الكل هو الحرية المنضبطة.

فالإنسان له أن يمارس حريته. بحيث لا يعتدي علي حريات وحقوق غيره. وبحيث لا يسيء إلي المجتمع ولا يحطم ما فيه من قيم وأخلاقيات..

أما أن يمارس حرية بلا شروط ولا تحفظات. فإن هذه الحرية ستكون حينئذ مجالا للإباحية والاستهتار. ومجالا للانحراف الفكري. دون ضابط!

وإن كان الله قد منح الإنسان حرية. فإنه وضع له إلي جوارها وصايا ينفذها. كما أن الله سيحاسب الإنسان علي مدي استخدامه لهذه الحرية. ويعاقبه إن كان قد أساء بها إلي نفسه أو إلي غيره.

* * *

والحرية المطلقة التي يدعو إليها الشيطان. لها أخطار سلوكية وعقائدية

فالأخطار السلوكية نذكر كمثال لها الحرية التي أراد أن يسلك بها الهيبز والبيتلز في أمريكا. وبعض الوجوديين الملحدين. بحيث لا مانع لديهم من أن يسيروا عراة في الطريق العام. أو أن يمارسوا الجنس بلا خجل ويخدشوا حياء المجتمع. أو أن يشربوا الدم!!

ومثال آخر لهذه الأخطاء: كل المناهج الإباحية التي تدفع المجتمع دفعا إلي الفساد. زعما بأن الإنسان من حريته أن يفعل ما يشاء!

وهذا خداع من الشيطان. لأن الحرية الحقيقية هي أن يتحرر الإنسان من الداخل من الأخطاء: يتحرر من الشهوات والرغبات الخاطئة. ومن العادات المسيطرة عليه التي تفقده حرية إرادته. أما إذا استمر الشخص بتحقيق نزواته باسم الحرية فماذا ستكون النتيجة؟

* * *

حتما إن العالم المستعبد لنزواته وانحراف غرائزه. سيصل حتما إلي كراهية الله الذي يقف ضد هذه النزوات. وهذه هي خطة الشيطان الماكرة!

من هنا كان الوجوديون يقولون "من الخير أن الله لا يوجد. لكي نوجد نحن"!!.. إنهم يعتبرون الله عدواً لهم. لأنه يحدّ حرياتهم ويمنعهم عن ممارسة شهواتهم الخاطئة.. فبدلا من ان يصححوا انحرافهم ويصيروا انقياء نراهم يتمسكون بتلك الشهوات ويعادون الله بسببها! بل وجدنا طوائف من اولئك المنحرفين ينادون بعبادة الشيطان!! وهذا اقصي ما تصل اليه انحرافات الحرية من الناحية العقيدية والبعض من الذي يستمر متمسكا بالدين يحاول ان يفسر بعض النصوص حسب هواه لتتفق مع نزعاته العنيفة وهذا انحراف عقيدي آخر.

* * *

وكنتيجة لسوء استخدام الحرية يقف الشيطان ضد السلطة بصفة عامة ونقصد السلطة التي لاتقبل انحراف الحرية فتمنعه وتعاقب عليه

فهو يحارب سلطان الاب في الاسرة دفاعا عن حماية شخصية الابناء! وهو يحارب سلطة المعلم في الكلية والمدرسة لخلق جيل قوي! ويحارب ايضا سلطة الدولة باسم الديمقراطية وحقوق الشعب بل يحارب ايضا سلطة الله لكي يشعر المنحرف بحريته ووجوده! فالشيطان - في اغراءاته - لايريد - باسم الحرية - ان يوجد اي رقيب علي الانسان يضبط الاخطاء ويقومها وهو في ذلك يشجع كل احد ان يفعل مايعجبه ويعتقد مايشاء من الافكار وينشرها وان وقفت ضده سلطة من اي نوع يهاجمها بكل الوسائل بل يهاجم نفس مبدأ السلطة عموما! وتكون النتيجة هي التسيب والانحراف وهذا بعض من حيل الشيطان!.

* * *

وسيلة اخري من حيل الشياطين وهي:

حرب اليأس

اليأس وسيلة يلجأ اليها الشيطان بعد مقدمات طويلة تمهيدية.

* ربما تكون هذه المقدمات هي سقطات متتالية يوقع فيها ضحيته بلا هوادة حتي يصرخ قائلا: لا فائدة في من الصعب علي جدا ان احيا في حياة الفضيلة انها مستحيلة تليق بالملائكة لا بالبشر!!.

* وربما تكون مقدمة اليأس هي سقطة كبيرة جدا مثل سقطة يهوذا وخيانته يشعر بعدها انه لامغفرة!.

* وقد تكون مقدمة اليأس قراءات كثيرة عن السمو الهائل لحياة البر بمستويات يشعر القاريء لها انه من المستحيل عليه ان يصلها او حتي يقترب منها والافضل له ان يبتعد يأسا عن الطريق الروحي!.

من عادة الشيطان إما أن يضخم من الخطية حتي يوقع صاحبها في اليأس او انه يكبر من مستويات الفضيلة حتي يشعر من يسعي إليها بصعوبة الوصول!

وهو ماكر جدا في كل أساليبه: قبل وبعد الخطية قبل السقوط يسهل موضوع الخطية جدا حتي لتبدو شيئا عاديا ويضع لها مبررات! اما بعد السقوط فاما ان يستمر في سياسة التهوين والتبسيط لكي يتكرر السقوط واما ان يدخل في أسلوب التهويل لكي يوقع صاحبها في اليأس ويقول له: هل من المعقول ان يغفر الله خطية مثل هذه؟! او ان يقول للخاطيء: هل تظن من السهل عليك ان تترك هذه الخطية أو تتخلص منها؟! وهكذا يوقعه في اليأس..

وبمثل هذا المنطق يتعامل مع المدمنين ومع الفتيات الساقطات!.

* * *

اليأس يشعر الإنسان بعدم إمكانية التوبة!

يقول له الشيطان: وقت التوبة قد انتهي موعده. ان الخطية قد صارت تجري في دمك محبتها اصبحت فوق طاقة مقاومتك ان ارادتك قد انحلت وعزيمتك قد انتهت بل حتي مجرد الرغبة في ترك هذا الطريق لم تعد موجودة عندك بل قد صارت لك ارتباطات اخري كثيرة بآخرين لايمكنك الفكاك منهم ولاهم يتركونك.. كم مرة اردت ان تتوب وفشلت؟! وكم مرة حاولت ورجعت كما كنت بل وفي حالة اسوأ؟!.

وهكذا يحطم معنوياته الي ان يستسلم له ويتوقف عن المقاومة.. بل انه يقول له: هو ذا قد وصلت الي المستوي الذي لاتريد فيه التوبة ولا تحاول.. لقد صرت بكليتك في يدي انقلك من هذه اليد الي الاخري بكل سهولة كما اشاء فلا داعي اذن الي صراع فاشل لاتكتسب منه شيئا.

* * *

وطبعا كل هذه تخاويف لا أساس لها وتهديدات زائفة!.

فإن الله قادر بتدخل من نعمته ان يمنح الانسان التوبة مهما كانت حالته سيئة والتاريخ يحكي لنا قصصا عن كثير من الخاطئين والخاطئات قد تابوا وتغيرت حياتهم تماما الي العكس.

ومع ذلك فكلما سقط الانسان يحاول الشيطان القاءه في اليأس ويوهمه بان سقوطه هو انهيار دائم وليس سقوطا عارضا! بينما نعمة الله باستمرار تفتح امام الخطاة طاقة من نور وتشعرهم بأن التوبة ممكنة مهما كانت حالتهم وانهم حتي ان كانوا قد وصلوا الي الوضع الذي لايريدون فيه التوبة.. فإن الله يريدها لهم..

* * *

إن كنت ماشيا في الطريق الروحي. ووقعت فلا تظن اك لاتعرف المشي وتيأس بل قم وأكمل سيرك.

ان الشيطان يحسد خطواتك نحو الله ويريد ان يعرقلها فلا تدفعك عراقيله الي اليأس قم اذن بقوة اكثر واعرف انه لولا نجاحك ما كان الشيطان يحسدك ويحاربك.. واعرف ان الله يرقب سعيك وبعينك بل كلما سقطت سيقيمك.